١٢- رسالة إلى المريض

- مقدمة
- مثال من الصحابي الجليل عروة بن الزبير ﷺ
- هكذا يكون الصبر والتسليم
- فضل الصبر على المرض:

(أ) يكفر الله به الخطايا

(ب) يقرب بين العبد وربه في الدنيا

(ج) يجعل للعبد المنزلة عند الله يوم القيامة

- الابتلاء بالمرض دليل حب المولى عز وجل للعبد
- الخطبة الثانية

وقال تعالى:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾. [العنكبوت: ٢، ٣].

قال رب العزة في الحديث القدسي الشريف:

«من رضي بقضائي وقنع بعطائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صِدِّيقًا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين . . ومن لم يرض بقضائي ولم يقنع بعطائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من تحت سمائي وليتخذ له ربا سواي».

- مثال لصبر عروة بن الزبير رضى الله عنه:

- عروة بن الزبير بن العوام ابن أسماء بنت أبى بكر أخت عائشة أم المؤمنين . . رضى الله عنهم جميعا . .

عروة وما أدراك ما عروة . . جبل من جبال الصبر . . وسحابة من سحائب الرضا . .

أصيبت ساقه اليمنى بالأكلة، وهو مرض يفتك بالجسد حتى الموت . . وقرر

الأطباء أنه لا سبيل إلا قطعها حتى لا يسرى المرض فى سائر البدن فيكون الهلاك . .

ويستسلم عروة لقضاء الله . . وقضاء الله لا يقابل إلا بالتسليم وبالرضا .

كن عن همومك معرضا وكِلِ الهمومَ إلى القضا
فلربما اتسع المضيقُ وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مُسخط لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن مُتعرضا

ويأتي عروة لتجرى له الجراحة الخطيرة وينصحه الأطباء بتناول شيء مخدر حتى لا يشعر بآلام القطع . .

فماذا يقول عروة؟

يقول: أعوذ بالله أن أتناول شيئا يغيب قلبي وعقلي عن ذكر الله وعن الصلاة . .

قال الأطباء: ولكن كيف ستتحمل آلام القطع؟ .

قال: إذا دخلت في الصلاة وجلست لقراءة التشهد فاقطعوا ساقي فانى اذا دخلت في الصلاة لا أفكر إلا في الله الواحد الأحد.

ويدخل عروة بن الزبير في الصلاة وتتنزل عليه الملائكة بالسكينة . .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فُصّلَت: ٣٠].

وعندما يجلس عروة لقراءة التشهد قام الأطباء بقطع ساقه وتحمل عروة الألم حتى سلم من الصلاة ونظر إلى ساقه وهم يكفنونها فى قطعة قماش . .

ثم سأل عن ابنه الأكبر فنادوا عليه فلم يرد . . فلما ذهبوا يلتمسونه وجدوه قد سقط من على سطح الدار ميتا . .

فماذا يفعلون؟ هل يخبرون عروة الذى ما زال يعانى ألم قطع ساقه؟ ثم قالوا: لا فائدة من المداراة . .

فدخلوا على عروة وقالوا: عظم الله أجرك فى ابنك يا عروة.

قُطعت ساقه ومات ابنه، فماذا قال؟.

توجه إلى الله تعالى وقال: اللهم قد وهبت لى سبعة من الولد فأخذت واحدًا وأبقيت ستة فلك الحمد على ما أخذت ولك الشكر على ما أبقيت . . ووهبت لى ساقين فأخذت واحدة وأبقيت الأخرى فلك الحمد على ما أخذت ولك الشكر على ما أبقيت . . لئن ابتليت فقد عافيت، ولئن أخذت فقد أبقيت . .

ثم نظر إلى ساقه التى قطعت وقد كفنت فى قماش أبيض وقال: يعلم الله أننى ما مشيت بك إلى معصية أبدًا . .

هذا هو الصبر على المرض . . وهذا هو الرضا بقضاء الله . .

هكذا يكون الصبر وهكذا يكون التسليم لله:

- ولكن الغريب أننا إذا نظرنا فى أمر دنيانا نظرنا إلى من هو فوقنا . . ولكن إذا نظرنا في أمر ديننا نظرنا إلى من هو أسفل منا فنقول: نحن أفضل من غيرنا . . ولكن فى أمر الدنيا نسخط ولا نرضى ولا نقول: نحن أفضل من غيرنا أبدًا إلا من رحم ربى . .

- يسأل النبي ﷺ الصحابة: «**أمؤمنون أنتم؟**» قالوا: نعم يا رسول الله .

فقال النبى ﷺ: «**فما حقيقة إيمانكم؟** قال عمر: نصبر على البلاء.

هذا هو المقياس: الصبر والرضا.

ومتى ينتقل المريض من مرحلة الصبر إلى مرحلة الرضا فليعلم علم اليقين أن الله تعالى قد رضى عنه . .

- سمع الحسن رضي الله عنه رجلا يقول: اللهم ارض عنى . .

قال الحسن: لو رضيت على الله لرضى الله عنك.

قال الرجل: وكيف أرضى عن الله؟.

قال الحسن: يوم تسر بالنقمة سرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله.

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

- وهذا أحد علماء السلف الصالح يقول:

ما أصابتنى مصيبة إلا حمدت الله عليها لأربع:

أن لم يجعلها فى دينى .. وأن رزقنى الصبر عليها .. وأن لم يجعلها أكبر منها .. وأن رزقنى الاسترجاع عندها.

فضل الصبر على المرض:

أولا: يكفر الله به الخطايا:

- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما يصيب المؤمن من وصب ولا هَمٌّ ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه». البخاري.

- وقال ﷺ: **«ولا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة».**

- وقال ﷺ:

«ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سوى ذلك إلا حط الله عنه خطاياه كما تحط الشجرة أوراقها». متفق عليه.

- وقال ﷺ عندما عاد مريضا ومعه أبو هريرة رضي الله عنه وكان المريض محمومًا:

«أبشر فإن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة». السلسلة الصحيحة للألبانى.

- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب فقال:

«ما لك يا أم السائب تزفزفين؟» قالت: الحمى، لا بارك الله فيها.

فقال: **«لا تسبى الحمى فإنها تُذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد».** مسلم.

إذا كان هذا شأن من ارتفعت حرارته او شاكته شوكة فكيف بمن اصيب بمرض عضال؟.

إنه فضل عظيم .. ورحمة عظيمة من الله تعالى يصيب بها من يشاء من عباده.

ثانيا: فضل المرض على العبد فى الدنيا فى علاقته بربه.

- لو تركنا الله دون ابتلاء لطغينا وتجبرنا . . ولكن الله تعالى برحمته يبتلى العبد بالمرض حتى يلجأ إلى ربه ويتعلق قلبه به ويدعوه . . وسبحان مستخرج الدعاء بالبلاء . .

يقول وهب بن منبه: يُنزل الله تعالى البلاء ليستخرج به الدعاء .

وورد في الأثر «يابن آدم . . البلاء يجمع بينى وبينك، والعافية تجمع بينك وبين نفسك». وفى ذلك يقول المولى عز وجل:

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾. [فُصّلَت: ٥١].

- لذلك إذا نزل البلاء بالعبد تعلق قلبه بالله وتعلق لسانه بالدعاء كما كان يفعل نبى الله أيوب عليه السلام . . يقول الله تعالى في شأنه:

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٨٣]

فما النتيجة؟.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٨٤].

- ومن فضل المرض على العبد في علاقته بربه أن الله تعالى يكون قريبا من المريض قربا خاصا . .

يقول تعالى في حديثه القدسى: (**ابن آدم . . مرض عبدي فلان فلم تعده، أوَما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده**). مسلم عن أبى هريرة.

وقد ورد فى الأثر: (**أنا عند المنكسرة قلوبهم**) وليس هناك ما يكسر قلب الرجل أو المرأة أكثر من المرض . .

لذلك يطهر المرض العبد من آفات الكبر والفخر والاستعلاء والغفلة ولو دامت عليه صحته لبغى وتجبر ونسى ربه ونسى أخرته . .

لذلك قيل: «من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قُيد إليه بسلاسل الابتلاء».

وقيل: (إذا أراد الله بعبده خيرا سقاه من دواء الابتلاء ليستفرغ منه آفات النفس حتى إذا هذبه رد عليه عافيته).

ثالثا: فضل المرض على العبد يوم القيامة:

- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها». ابن حبان.

- ومن عظم ثواب المريض يوم القيامة فإن الخلائق تحسده . .

أخرج الترمذى عن جابر مرفوعا «يود الناس يوم القيامة أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض فى الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء».

الابتلاء بالمرض دليل حب الله للعبد:

- فإذا أصيب العبد ببلاء فى صحته فهو تهذيب لنفسه وتصفية وتطهير لها من الذنوب . .

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

[الشّورى: ٣٠].

فإذا أصيب العبد ببلاء فى صحته فلا يقل: من أين هذا؟ أو من أين أتى لى هذا؟

فما أصيب إلا بذنب، وفى هذا تبشير ورحمة وحب من المولى عز وجل لعبده المؤمن . .

- وعن أنس مرفوعا:

«إن عظم الجزاء من عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط». الترمذى.

فإذا أبغض الله عبدا وسَّع عليه دنياه . . واذا أحب عبدا ابتلاه، فإذا صبر كتب فى ديوان الصابرين وإذا رضى كتب فى ديوان الراضين واذا شكر وحمد كتب فى ديوان الشاكرين الحامدين . .

وقد قال ﷺ من حديث صهيب:

«**عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سراء فشكر الله فله أجر، وإن أصابته ضراء فصبر فله أجر، فكل قضاء الله للمسلم خير**». مسلم.

- إذًا .. فالمرض من علامات حب الله لعبده المؤمن وإرادة الخير به ..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا:

«**من يرد الله به خيرا يصب منه**». البخارى.

إذًا من لم يرد الله به خيرا لا يصب منه حتى يوافى ربه يوم القيامة محملا بذنوبه..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

مر برسول الله ﷺ أعرابي أعجبته صحته وجلده .. فدعاه النبي ﷺ فقال له:

«**متى أحسست بأم ملدم؟**». قال: وما أم ملدم؟ قال: «**الحمى**».

قال الأعرابى: وأي شيء الحمى؟

قال النبى ﷺ: «**سخنة تكون بين الجلد والعظم**».

فقال الأعرابى: ما وجدت ذلك قط.

قال النبى ﷺ: «**فمتى أحسست بالصداع؟**».

قال الأعرابي: وأى شيء الصداع؟.

قال النبي: «**ضربات تكون في الصدغين والرأس**».

قال الأعرابي: ما وجدت هذا قط.

فلما قفا - ولى - الأعرابي قال النبي ﷺ:

«**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه**». مسند أحمد.

- إذًا أخي المريض .. أختي المريضة ..

لا تجزعوا ولا تسخطوا، فهي رحمة الله عز وجل يصيب بها من يشاء من عباده الصالحين .. وقد ورد فى الأثر:

أن العبد اذا أصابه المرض فيدعو الله .. ويقول الناس: يا رب ألا ترحمه؟.

ارحمه يا رب مما هو فيه.. فيقول المولى عز وجل: كيف أرحمه مما به أرحمه؟.

- ويقول عز وجل في حديثه القدسي:

«إذا ابتليت عبدي ببلاء فلم يشكني إلى عُوَّاده أبدلتُه لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه، فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له، وإذا توفيته فإلى رحمتي».

الخطبة الثانية:

الأخوة الأحباب . .

- حاولت أن تكون خطبة اليوم رسالة إلى كل مريض يئن في مرضه . .

إلى كل مريض يشتكى ألما ووجعا ومرضا . .

إلى كل مريض يتقلب في الليل على فراش المرض لا يهنأ بنوم ولا يتلذذ بطعام..

إلى كل مريض يتردد على المستشفيات والأطباء . .

نقول لك كما علمنا رسول الله ﷺ: **«لا بأس طهور إن شاء الله»**.

- خذ بالأسباب واذهب إلى الطبيب . . ولكن علق قلبك بالله . . وقد ورد في الأثر:

أن موسى سأل رب العزة: يا رب ممن الداء والدواء؟ فقال الله تعالى: مني.

قال موسى: فماذا يصنع الأطباء؟

قال رب العزة: يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي قضائي أو يأتي شفائي.

إذا الطبيب يعالج والمولى عز وجل هو الشافي . .

الطبيب يموت والله تعالى حي لا يموت فتعلق بالحي الذي لا يموت . .

قل للطبيب تخطفته يد الردى مَـن يـا طبيب بطبه أرداك

قل للصحيح يموت لا من علة مَن بالمنايا يا صحيح دهـاك

قل للمريض نجا وعوفي بعدما عجزت فنون الطب من عافاك

الله ليس عنده شيء اسمه مرض بلا علاج أو داء بلا دواء . .

فعلق قلبك بالله وقل يا رب لم يبق لي لهذا المرض إلا أنت . .

إن الطبيب له علم يدل بـه إن كان للمرء في الأيام تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب وخانته العقاقير

قالت عائشة رضي الله عنها لأبى بكر:

يا أبى ألا نستدعى لك الطبيب؟ قال: يا عائشة لقد قابلت الطبيب

قالت: وماذا قال لك يا أبى؟

قال: يا عائشة لما قابلت الطبيب قال لى أنا فعال لما أريد

- أخي المريض . . أختي المريضة . .

اعلموا أن ما أصابكم ليس إلا بقدر الله فأحسنوا الظن به سبحانه وتعالى حتى يكشف ما بكم وتذكروا قوله عز وجل في الحديث القدسى:

(أنا عند حسن ظن عبدي بي إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر).

أحمد والطبراني وابن حبان

الله لا يقدر إلا الخير وهو أرحم بعباده من الأم بولدها . .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾. [الأنعام: ١٧].

إلهى . .

ما مسنى قدر بكــره أو رضا إلا اهتديت به اليك طريقا
أمضى القضاء على الرضا منى به انى عرفتك في البلاء رفيقا

فاللهم امسح بيد شفائك على كل مريض وسقيم يارب العالمين.